المركز الوطني للمتميزين
NATIONAL CENTER FOR THE DISTINGUISHED
/NCDSyria

تقرير حلقة بحث بعنوان:

زعيم الغزل الحضري عمر بن أبي ربيعة

تقديم الطالبة: رؤى ديب.

الصف: الثاني الثانوي.

العام الدراسي: 2016/2015

إشراف: المعلمة تغريد مشعل.

☒مخطط البحث:

1. المقدمة والإشكالية.
2. الباب الأول: الشعر الأموي وأهم أغراضه:
   - تعريف الشعر.
   - أغراض الشّعر في العصر الأموي.
   - الغزل الأموي.

3. الباب الثاني: أهمّ شعراء العصر الأمويّ.

4. الباب الثالث: نسب وسيرة الشّاعر عمر بن أبي ربيعة:
   - نسب عمر بن أبي ربيعة.
   - سيرة الشاعر عمر بن أبي ربيعة.

5. الباب الرابع: غزل عمر بن أبي ربيعة:
   - طبيعة شعر عمر بن أبي ربيعة.
   - ميزات غزل عمر بن أبي ربيعة.
   - أوزان الغزل العمريّ.
   - طريقة وصف عمر بن أبي ربيعة للمرأة.
   - المغامرات في شعر عمر بن أبي ربيعة.

المقدمة و الإشكالية:

عمر بن أبي ربيعة، ذلك الشّاعر العملاق الذي شهد له الجميع بالبراعة والقدرة، هو الذي جعل العرب تشهد لقريش في الشّعر، وكان مثلاً للكثير من الشّعراء بعده، حيث أنه تصدّر شعراء الغزل من ذلك الوقت حتى الوقت الحاضر، وذلك لما أضفى على غزله من خفّة روحه ورقة طبعه، فجاء لين الملمس طيب المساغ حلو الألفاظ يرتفع به حيناً إلى الصّياغة الجميلة المحكمة التي أرضى بها أعلام الشّعراء كالفرزدق والجرير، ويميل بشعره حيناً إلى التعابير الخفيفة السّهلة التي تروق المغنين والمغنيات، وتستهوي كل من يسمع ويقرأ هذا الفن الرائع.

ويلقي هذا البحث الضوء على شاعر الغزل الأول، مبيناً لنا شيئاً يسيراً عن حياته وطبيعة شعره وأهم ميزات شعر الغزل في عصره

فما هي أغراض الشعر بعهد العصر الأموي؟ وما أهمّ ميزات الغزل فيه؟

ومن هم أبرز أعلام الشعر في ذلك العصر؟

من هو عمر بن أبي ربيعة؟

ما هي طبيعة شعره؟

ما صورة المرأة بعيون عمر بن أبي ربيعة؟ وهل حقاً كان عمر من الرجال الذين كانوا يحبون اللهو مع النساء؟

أحقاً اعتُبرَ عمر بن أبي ربيعة ناطقاً رسميّاً باسم المرأة العربيّة بالحجاز في ذلك الوقت؟

لنكتشف ذلك بالبحث الآتي.....

الباب الأول: الشعر الأموي وأهم أغراضه:

الفصل الأول: تعريف الشعر:

الشعر: هو أحد أهمّ أنواع الأدب والذي تكثر أهميته وروعته بالأدب العربيّ حيث أنّ أكثر الأشخاص شهرة هم الشّعراء ـ والشّعراء القديمون بشكل خاص (العباسيون، والأمويون، والجاهليون.....) ـ فقد برز هذا الفنّ عند العرب في تاريخهم الأدبي منذ أقدم العصور إلى أن أصبح وثيقة يمكن من خلالها التعرف على أوضاع العرب وثقافتهم وأحوالهم وتاريخهم، أما الشّعر في ماهيته الحقيقيّة هو تعبير إنسانيّ فرديّ يتمدّد ظلّه الوارف في الاتجاهات الأربعة ليشمل الإنسانيّة بعمومها، وهو ليس إلّا وليد الشّعور، والشّعور تأثر وانفعال ورؤى وأحاسيس وعاطفة، ووجدان وصور وتعبيرات وألفاظ تكسو التعبير رونقا خاصاً ونغماً موسيقياً ملائماً، وبالتالي لا يمكن لأي شخص أن يكون شاعراً، ما لم يمتلك تلك المشاعر والأحاسيس، ويمكننا القول أيضاً أنّ الشّعر لغة الخيال والعواطف، له صلة وثيقة بكلّ ما يسعد ويمنح البهجة والمتعة السّريعة، أو الألم العميق للعقل البشريّ، حيث أنّه اللغة العالية الّتي يتمسّك بها القلب مع ما يملكه من إحساس عميق، أمّا مفهومه التّقليديّ فالشّعر هو الكلام الموزون المقفّى الدّال على معنى .

استعمل الشّعراء الشّعر لأغراض كثيرة فعندما يحبّ الشّاعر فإنّه يتغزل بمحبوبته، وعندما يكره أحداً فإنّه يهجوه، وإذا خطف الموت له شخصاً عزيزاً على قلبه رثاه، وإن اعتدّ بنفسه افتخر وبذا تتعدد الأبواب التي يتطرقها الشّعر والأمور التي نوظف الّشعر بها.

الفصل الثاني: أغراض الشّعر في العصر الأموي:

1. الفخر والحماسة:

الحماسة هي التعبير عن عمق الشّجاعة والجرأة لدى الشّاعر، أمّا بالنّسبة للفخر فهو ذكر الصّفات الّتي يتمايز بهـا النّاس ضمن أعراف معينة، وقـد اتجه الفخر عنـد شعـراء عصر الإسلام والعصر الأمويّ اتجاهين، اتجاه تشرّب بروح الإسلام وترك وراءه الولاء القبلي، ولـم يعد يفتخر بالعصبيّة القبليّة بل ركز على معانٍ جديدة للفخر تتمثل في:

أ- الحرص على نيل الشّهادة.
ب- الفخر بانتصار المؤمنين.
ت- الافتخار بتأييد الملائكة.

واتجاه آخر اهتمّ بشكل كبير بإبقاء القيم الّتي حثَ عليها الإسلام، والتي جاء الرّسول عليه السّلام متمماً لها: (إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، مثل إكرام الضّيف والعفّة والشّجاعة ... وغيرها،

- يقول كعب بن مالك مفتخراً بيوم بدر:

ويوم بدر لقيناكم لنا مـدد فيه مع النّصر ميكال وجبريل

إن تقتلونا فدين الله فطرتنا والقتل في الحقّ عند الله تفضيل[1]

- ويقول حسان بن ثابت مفتخرا بجند الأنصار:

وقال الله قد يسرّت جنـداً هم الأنصار عرضتها اللقاء

لنا في كل يوم مـن معـدّ سِبابٌ أو قتالٌ أو هجـاء[2]

2. المديح:

اتجه المدح فـي العصر الأمويّ إلـى الخلفاء والولاة والأمراء، وأخفى الشّعراء على ممدوحيهم صفات التُقى والورع وحماية المسلمين والذوذ عن حرماتهم، وبقيت صفات المدح في العصر الأمويّ يشبه أحياناً صفات المدح عند الجاهليين.

- يقول الأخطل مادحا بني أمية:

حُشدٌ على الحقّ، عيّافو الخنى أُنفٌ إذا أَلمّت بِهِم مَكرُوهَةٌ، صَبَروا

أعطَاهُم اللهُ جدّاً ينصرونَ به لا جدَّ إلاّ صَغيرٌ، بَعدُ، مـــــــــحتَقرُ[3]

- تقول ليلى الأخيلية مادحةً الحجاج:

إذا هبط الحجـــاج أرضاً مريضةٌ تتبّع أقصى دائـها فشفاهـــا

شفاها من الدّاء العضال الذي بها غلام إذا هزّ القناة سقاهـــا [4]

---

[1] ديوان كعب بن مالك / سامي العاني / العراق ـ بغداد / مكتبة النهضة / الطبعة الأولى / 1966 /الصفحة 50.

[2] ديوان حسان بن ثابت الأنصاري / عبد علي مهنا / لبنان ـ بيروت / دار الكتب العلمية/ الطبعة الثانية / 1994 /الصفحة 20.

[3] ديوان الأخطل / أبي الفرج الأصفهاني / لبنان ـ بيروت / لم يذكر دا النشر / الطبعة الثالثة / الصفحة 60.

[4] ديوان ليلى الأخيلية/ عمر رضا كحالة / سوريا ـ دمشق / المطبعة الهاشمية / الطبعة الثانية / 1959 /الصفحة 121.

3. الهجـــــاء:

غض الأمويون الطّرف عن هجاء من خالف سياستهم، وشجعوا هذا الفنّ بصورته القبلية التي فرّخت لنا فنّ النقائض، والذي هو من أغنى صور الهجاء العربيّ، (على عكس الإسلام الذي كان يحارب من كان يخالف سياستهم).

- شجع يزيد بن معاوية الأخطل التغلبي على هجاء الأنصار وأمّنه من غضب والده معاوية:

ذهبت قريش بالمكارم والعلا واللؤم تحت عمائم الأنّصار

فذروا المعالي لستم من أهلها وخذوا مساحيكم بني النّجار[5]

- الطرماح بن الحكيم الطائي عندما هجا بني تميم قوم الفرزدق بعد أن خضعت هذه القبيلة ليزيد بن المهلب:

أقرّت تميم لابن دحمه حكمه وكانت إذا سبّت هوانا أمرّت

أفخـرا تميمـا إذا فتنة خبت ولؤما إذا ما المشرفية سلّت

ولـو خـرج الدجال ينشر دينه لزالت تميم حوله واحزألت

لعمري لقد سادت سجاح بقومها فلمـــا أتت اليمامــة حلــّت

▪ *فـن النّقائض:*

النّقيضة قصيدة يقولها شاعر من الشّعراء في هجاء شاعر آخر مع قومه، فيردّ الشّاعر الثّاني بنقيضة أخرى تظهر مخازي الأول وقومه، تكون على الرويّ نفسه والقافية ذاتها، (وإن اختلفت بعض الحركات والقوافي أحيانا)، وموضوعها الشّتم والسّباب والقذف وعدم مراعاة الحُرم والأعراف، وقد كان هذا الفنّ استمراراً لما حدث في العصر الجاهلي من نقائض، كما حصل بين حسان والزبعرى، عندما ذكر ابن الزبعرى أخت حسان بن ثابت (عمرة)، وقد نشأ هذا الفن وتطور في العصر الأموي بفعل عوامل اجتماعيّة وسياسيّة وعقليّة.

انطلقت العوامل الاجتماعيّة مـن الفراغ الداخليّ الذي أحدثه الأمويون فـي نفوس النّاس، فمالوا إلى الفراغ، أمّا العوامل العقلية فتتمثل في نمـو العقل العربي ونمو الجدل والمناظرة في

[5] ديوان الأخطل / أبي الفرج الأصبهاني / لبنان ـ بيروت / لم يذكر دا النشر / الطبعة الثالثة / الصفحة 4.

العقائد والتشريع وأحقيّة الخلافة، وأمّا العوامل السياسيّة فتتمثل في محاولة الأمويين صرف النّاس عن أمور الحكم واشغال بعضهم ببعض، وقد كان السّبب المباشر في ظهور هذه النقائض أنّ شاعراً يربوعياً هجا جرير فانقض عليه جرير بالهجاء، فاستغاث اليربوعي بـ (البعيث المجاشعي) فأغاثه فهجا جريراً، فانصب جرير على مجاشع وأفحش بذكر النّساء فاستغاثت نساء مجاشع بالفرزدق فهجا جريراً، وهكذا تكاملت حلقة المناظرة وأصبح هذا الفنّ الذي دام خمسين عاماً من أقبح فنون الشّعر العربيّ، بحيث أبرز هذا الفنّ مدى التّراجع الذي حلّ للشّعر العربيّ بعد مرور خمسين عاما على دعوة الرّسول عليه السلام، ولكنّه على الرغم من ذلك فإنّه يعد أغنى الفنون الشعريّة وأكثرها تميّزاً.

- ومن أهم المناقضات (مناقضات الجرير والفرزدق).

- كما أن الهجاء بين الأحزاب السياسية استعرت ناره وتحول إلى نقاش سياسي.

4. الرثاء:

استمر فيه شعراء العصر الأمويّ على ما كان معروفا عند الجاهليّين، فندبوهم وأنّبوهم وعزّوا أحياءهم وإن تغيرت مناقب التأبين وتبدّلت شمائلها، فأصبح المرثيّ يتصف بالتقوى والإيمان والخير والبرّ والرّحمة والهداية والطهر.

- كما قال حسان بن ثابت في تأبين رسول عليه السلام:

تالله ما حَمَلَت أُنثـى ولا وَضَعَت — مثل الرّسولِ نَبِيّ الأمّةِ الهادي
ولا بَرَا اللهُ خَلقاً من بَريَّتِهِ — أَوفَـى بِذمّـة جارٍ أو بميعـادِ
مَـن الـذي كان فينا يُستضاءُ به — مُبارَك الأمرِ ذا عدلٍ وإرشادِ[6]

- قد يتناول الرثاء زوجة محببة لدى الشاعر تمنعه العادات أن يزور قبرها فيقول:

لولا الحياء لهاجني استعبار — ولزرت قبرك والحبيب يزار
ولهت قلبي إذ علتني كبرة — وذوو التمائم من بنيك صغار
صلى الملائكة الذين تخيروا — والصالحون عليك والأبرار

5. **الغزل:** سنتوسع في دراسته في الفصل التالي:

[6] ديوان حسان بن ثابت الأنصاري / عبد علي مهنا / لبنان ـ بيروت / دار الكتب العلمية/ الطبعة الثانية / 1994 /الصفحة 66.

الفصل الثالث: الغزل الأمويّ:

قد انحدر الغزل الأمويّ من الغزل الجاهليّ، والفارق هو أنّ الغزل في القصيدة الجاهليّة كان غرضاً من أغراض القصيدة يأتي في الأبيات، ثم ينتقل إلى غرض آخر في نفس القصيدة، أمّا في العصر الأمويّ فقد أصبح الغزل يختص في قصيدة كاملة، فلا يذكر الشّاعر في قصيدته غير الغزل.[7]

يقسم الغزل الأموي إلى نوعين الغزل الصريح والغزل العذريّ العفيف:

☒ **الغزل الصريح (الحضريّ):** هو الغزل الذي يتحسّس جمال المرأة، ولكنّه على رأي الأدباء بقي أسير دوافع جماليّة لا دوافع جنسيّة، حيث أنّ كثيراً من هؤلاء الشّعراء يجدون متعة في مجالسة النّساء والتحدّث إليهنّ، ولا يتعدون ذلك، وقد اتسم الغزل الصريح بسماتٍ متمثّلة بالصراحة في وصف علاقة الشّاعر بفتاته وتصوير محاسنها، ووصف معاناته بعاطفة سطحيّة سريعة الزّوال، إذ أن هذا الحبّ يؤمن باللهو ولا يعرف الخلود، حيث أنّ هؤلاء الشّعراء تعلقوا بأكثر من امرأة واحدة، إضافة إلى نزعة الاستعلاء التي تستحوذ على نفوسهم.

جمع هذا الاتجاه بين الغزل الفاحش الصريح، وغير الفاحش، وقد شاع في مدن الحجاز وخاصة في مكة والمدينة، وكان زعيمه الأول عمر بن أبي ربيعة في مكة، والأحوص في المدينة، ولكن بالرغم من كلّ شيء فقد أخذ عمر بن أبي ربيعة الزّعامة المطلقة في هذا المجال، وغلّب البعض تسمية هذا النوع من الغزل منسوبة إلى عمر فقالوا: (الغزل العمري).

- **الغزل العمري:**

تعددت الدلالات على طابع هذا الغزل عند النقاد، سماه بعضهم الإباحي، واعتبره البعض الآخر غزلاً مادياً ودعاه طه حسين «غزل المحققين» ولا تخلو نسبته إلى هذه الظواهر المختلفة من الصدق، فهو حضري لأنّه ظهر في المدن، وكان شعراؤه من أهل الحضر الّذين نالوا نصيباً كبيراً من ترف الحياة ونعيم العيش؛ وهو إباحي لأن منشديه لم يتورعوا فيه عن وصف لذائذ الوصال بين المرأة والرجل، وبالغوا في ذلك أحياناً ولم يجدوا حرجاً في كثير من الأوقات، وهو ماديّ لتلك الأسباب التي ذكرناها، حيث أنه يصور أحاسيس الحبّ الماديّة.[8]

ولكنّه بالرغم من هذا غزل واقعيّ، لأنّه يعكس واقع المجتمع الحضري، ونفسيّة المرأة في ذلك العصر، ويدخل بنا إلى ردهات تلك الحياة الناعمة، حيث لا ذِكر إلا الهوى، ولا حديث إلا عن العلاقة، ولا اهتمام إلا بشؤون القلب، وقد شاء الدكتور طه حسين أن يهتمّ بالجانب الذي يمسّ الغزليين في هذا الشعر فسمي أصحابه (المحققين) لأنهم اهتموا بالناحية العملية

---

[7] الدكتور شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام: مطبعة جامعة دمشق، 1379 ه / 1959 م.

[8] طه حسين، من تاريخ الادب العربي، المجلد الاول، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1982م.

من الحبّ، وقصدوا إلى الوصال ولم يذهبوا كالعذريين إلى تصوير اليأس والحرمان وإظهار العفة والبراءة.[9]
إنّ الغزل العمري تعبير عن طبقه متحررة منطلقة، تضع شهواتها وملاذها فوق كلّ شيء، حيث أنّها لم تنس نصيبها من الدنيا ولكنّها نسيت نصيبها من الآخرة ولم تبتغ الدار الآخرة وانما ابتغت المتعة واللهو في الأرض.[10]

✓ وقد برز من شعراء هذا الاتجاه: عمر بن أبي ربيعة وعبد الله بن عمر العرجي والحارث بن خالد المخزومي وأبو دهبل الجمحي وعبد الله بن محمد الأنصاري.

- كما قال عمر بن أبى ربيعة في وصف محبوبته:

غادة تفتر عن أشنَبِها حين تجلوه أقاح أو برد

ولها عينان في طرفيهما حورٌ منها وفي الجيد غيد[11]

ومن عوامل ازدهاره:

1- حياة الترف التي عاشها الشّعراء وانغماس الشباب فيها.
2- انتشار الغناء في عواصم البلاد العربية، وإقبال النّاس على مجالسه.
3- انصراف كثير من شعراء الحجاز عن السّياسة واهتمامهم بالغزل.

☒ **الغزل العذريَ أو العفيف (البدويّ):** وينسب إلى قبيلة عذرة القضاعيّة اليمنيّة التي كانت تنزل وادي القرى شمال الحجاز، والتي كان أبناؤها مشهورين بهذا النوع من الغزل، وقد ذكر ابن قتيبة في كتابه (الشّعر والشّعراء) أن الجمال والعشق في عذرة كثير، وهو امتزاج للظاهرة البدويّة مع العفّة الإسلاميّة، بحيث جعلت هذه الظاهرة منزهة عن الدوافع الجسديّة، وقد رأى الباحثين أن هذا الحبّ تجسيد لعقدة المازوخيّة القائمة على التلذذ بالألم والعذاب، وكان البعض يروون أو يرون أن في هذا الحبّ سموّاً من خلال سماته، التي تتمثل بالعفّة وتوقد العاطفة والديمومة والوحدانيّة والمعاناة والشّكوى والخضوع المطلق لسلطان المحبوب، وتعني ملازمته والحرص على رضاه والقناعة به والإعراض عن أقوال العذال فيه، وإكبار المرأة من خلال وصف محاسنها القيّمة لا الجسديّة.

ومن أهمّ خصائصه: الاقتصار على محبوبة واحدة، وحدة الموضوع، بساطة المعاني والسّهولة والوضوح، الصدق، والعفة بالإضافة إلى الحزن والتشاؤم.

✓ كما في شعر مجنون ليلى وجميل بن مَعْمَر وأبى صخر الهذلي وغيرهم.

---

[9] طه حسين، من تاريخ الادب العربي، المجلد الاول، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1982م.
[10] . عبد علي مهنأ، شرح ديوان عمر بن ابي ربيعة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى،1406ه|1986م.
[11] ديوان عمر بن أبي ربيعة / أحمد أكرم الطبّاع / لبنان ـ بيروت / دار القلم / الطبعة الثانية / الصفحة 54.

- يقول جميل بثينة:

إنّي لأحفظُ غيّبكم ويسرني، لو تعلمين، بصالحٍ أن تُذكري

ويكون يومٌ لا أرى لك مرسلاً أو نلتقي فيه، عليّ كأشهرِ

يا ليتني ألقى المنيّة بغتةً إن كان يومُ لقائكم لم يُقدَرِ[12]

ومن عوامل ازدهار هذا اللون من الشعر ما يأتي:

1- كثرة الفراغ لَدَى شعراء البادية.
2- الغيرة على المرأة والحفاظ على التقاليد.

الباب الثاني: أهمّ شعراء العصر الأمويّ:

العصر الأمويّ جاد على الأمّة العربيّة بشعراء أفذاذ، لم يجد بمثلهم أي عصر آخر، حيث خلد التاريخ قصصهم، وجمال أشعراهم، حتّى غدوا مضرباً للمثل، والحسن، والجمال، وفيما يلي بعض أبرز الشّعراء الأمويّين، وأكثرهم شهرة.

- قيس بن الملوح: عرف هذا الشّاعر بلقب مجنون ليلى، وهو أحد القيسيين، عاش قيس بن الملوح بين العامين الرابع والعشرين، والثامن والستين من الهجرة، يعتبر ابن الملوح أحد أبرز شعراء العصر الأمويّ، وأحد أبرز الشعراء العرب على الإطلاق، لقب قيس بن الملوح بهذا اللقب بسبب حبه لليلى العامرية التي تعتبر أيضاً شاعرة عربية خالدة.

- ليلى العامرية: هي واحدة من أبرز شعراء العصر الأمويّ، وحبيبة الشّاعر المجنون بها قيس بن الملوح، عاشت في العصر الأمويّ، ولها أشعار خالدة.

[12] ديوان جميل بثينة / بطرس البستاني / لبنان ـ بيروت / دار بيروت للطباعة والنشر / الطبعة الثانية / الصفحة 24 / عام 1982.

- جرير: هو واحد من أبرز شعراء العصر الأمويّ، ولد في العام الثالث والثلاثين، وتوفي في العام مئة وعشر من الهجرة، اشتهر هذا الشّاعر الفذّ في التّاريخ العربيّ، حيث يعتبر واحداً من أبرز الشّعراء العرب على الإطلاق، وتميَّز هذا الشّاعر بقدرته العالية على الهجاء، إلى جانب المدح.

- الفرزدق: يكنى بأبي فراس، وقد لقب بهذا الاسم بسبب وجهه الضّخم والذي يشبه الرغيف؛ فالفرزدق اسم من أسماء رغيف الخبز عند العرب، اشتهر هذا الشّاعر بالمدح، والهجاء في آن واحد.

- الأخطل: هو شاعر عربيّ مسيحيّ، عاش في العصر الأمويّ، وكان مقرباً من الخلفاء الأمويّين، فقد كان مدَّاحاً لهم، تميز هذا الشّاعر بألفاظه الجميلة، ونظمه الحَسَن للشّعر.

- المقنع الكندي: هو واحد من أبرز الشّعراء الأمويّين، لقب بلقب المقنع لأنه كان مقنعاً على الدّوام بسبب خوفه من الحسد؛ فقد كان جميلاً جداً، للمقنع الكندي مكانة عالية بين الشّعراء، فقد كان حريصاً على ألفاظه الشّعرية، بالإضافة إلى تميزه بالشّعر الرّزين الرّصين.

- عمر بن أبي ربيعة: تميز شعره بالغزل والمجون، كما تميزت بعض أشعاره بالخلاعة، كما تميز أيضاً بجماله، اشتهر عمر بن أبي ربيعة بهذا النوع من الشّعر بسبب اختلاطه الكبير بالنّساء؛ فقد عاش حياة التّرف والغنى، وقد كان يغازل غزلاً صريحاً، ومن أبرز الإضافات التي أضافها ابن أبي ربيعة لشعر الغزل؛ إضافة أسلوب الحوار إلى الشّعر، بالإضافة إلى صلوحيه شعره الكبيرة للغناء بسبب الأوزان الرائعة التي تمتع بها هذا الشّعر.

الباب الثالث: نسب وسيرة الشّاعر عمر بن أبي ربيعة:

الفصل الأول: نسب عمر بن أبي ربيعة:

هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميّ القرشيّ، كنيته أبو الخطاب... ووصف بشاعر قريش وفتاها، وهو أحد أهم شعراء الدولة الأمويّة، ويعد زعيم المذهب الفاحش في التغزل، (ولد في 643م _ 23هـ، وتوفي في 711م _ 93هـ).[13]

- وكانت ولادته في الليلة التي قتل فيها عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وهي ليلة الأربعاء الأربعين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة، وقيل أنّه أصيب في آخر حياته بالبرداء (الملاريا) فانتقل إلى اليمن عند أخواله ومات سنة 93 هـ.

وكان الحسن البصري، رضي الله عنه، إذا جرى ذكر ولادة عمر بن أبي ربيعة في الليلة التي قتل فيها عمر، رضي الله عنه، يقول: أي حق رفع؟ وأي باطل وضع؟ وكان جده أبو ربيعة يلقب ذا الرمحين، واسمه عمرو، وقيل حذيفة، وقيل اسمه كنيته.[14]

كان اسم أبيه بحيرا، ولكن سماه النّبي عبد الله، وكان يلقب بالعدل؛ لأن قريشا كانت تكسو الكعبة في الجاهليّة بأجمعها من أموالها سنة ويكوسوها هو من ماله سنة، فأرادوا بذلك أنّه وحده عدل لهم جميعا في ذلك، وكان تاجرا ميسوراً وكان متجره إلى اليمن، وكان من أكثرهم مالاً، فتقلب عمر في أعطاف النعيم ميالاً للهو، محباً للعبث.

وكان أبوه عبد الله أخا أبي جهل ابن هشام المخزومي، كان أبوه من تجار قريش، وأمهما أسماء بنت مخربة، من بني مخزوم، وقيل من بني نهشل، وهما ابنا عم، يجمعهما المغيرة بن عبد الله.

وكان آباؤه وأعمامه يعدون من سادة قريش الأولين، ومنهم هشام بن المغيرة والوليد بن المغيرة.

- نسب الشاعر عمر بن أبي ربيعة

عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن كعبن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر، من بني مخزوم إحدى بطون قبيلة قريش.

---

[13] بحث علي محمد زايد غيث بإشراف الدكتور عبد المنعم الرجبي (قدم هذا البحث، استكمالا لمتطلبات مساق في الشعر الإسلامي والأموي، الفصل الصيفي من عام 2008م).

[14] ابن قتيبة / الشعر والشعراء. ج1 / ص: 119.

الفصل الثاني: سيرة الشّاعر عمر بن أبي ربيعة[15]:

ولم يكد عمر يتجاوز الثّالثة عشرة من عمره حتى توفي أبوه، وبذلك خلّي بينه وبين أمّه الغريبة، فنشّأته كما تهوى.

شبّ الفتى عمر على دلال وترف، فانطلق مع الحياة التي تنفتح رحبة أمام أمثاله ممن رزقوا الشّباب والثروة والفراغ، وعرفته مجالس الطّرب والغناء فارساً مجلياً ينشد الحسن في وجوه الملاح في مكة، ويطلبه في المدينة والطائف وغيرهما.

رأى في موسم الحجّ معرض جمال وفتون، فراح يستغله، إذ يعتمر ويلبس الحلل والوشي، ويركب النجائب المخضوبة بالحناء، وعليها القطوع والديباج، ويلقى الحاجّات من الشّام والمدينة والعراق، فيتعرف إليهن، ويرافقهن، ويتشبب بهن، ويروي طرفاً من مواقفه معهن، شاقته هذه المجالس والمعارض، فتمنى لو أن الحجّ كان مستمرا طوال أيام السّنة:[16]

ليت ذا الحجَّ كان حتماً علينا　　كل شهرين حِجَّةً واعتمارا[17]

ومما يروى أن سليمان بن عبد الملك سأله: «ما يمنعك من مدحنا؟». فأجابه: «أنا لا أمدح إلا النّساء».

وصف في شعره النّساء وطرافتهن في الكلام، وحركاتهن، وبرع في استعمال الأسلوب القصصي والحوار، وتتميز قصائده بالعذوبة والطّابع الموسيقيّ، وقد تغنى كبار الموسيقيّين في ذلك العصر بقصائده.

جعل عمر من الغزل فناً مستقلاً، وكان يفد على عبد الملك بن مروان، فيكرّمه ويقرّبه، وخلّف ديواناً في مدح النّساء، باستثناء أبيات قليلة في الفخر.

وكان عمر بن أبي ربيعة على جانب من الإعجاب بنفسه، وفي العديد من قصائده يصور نفسه معشوقاً لا عاشقاً، والنّساء يتهافتن عليه، ويتنافسن في طلبه، وكان يتحدث عن «شهرته» لدى نساء المدينة، وكيف يعرفنه من أول نظرة:

قُلنَ تعرفنَ الفتى قُلنَ نعم　　قَد عرفناه وهل يخفى القمر[18]

ويمتاز شعر عمر بن أبي ربيعة بقدرته على وصف المرأة، وعواطفها ونفسيتها، وهواجسها وانفعالاتها، وميلها إلى الحبّ والغرام، وكل ما يتعلق بها وبجمالها وحسنها، والتعبير الجاذب لها، حتى قيل: ما من امرأة لحظت عمر بن ابي ربيعة يتقرب منها، ويصف لواعج حبّه لها، إلا وقعت في شراك حبّه.[19]

درس شوقي ضيف شخصيّة (عمر بن أبي ربيعة)؛ فاستفاد من علم النفس، ووقف عند ظاهرة جديدة في الشعر العربي جاء بها عمر؛ هي تحويل الغزل من المرأة إلى الرجل؛ فالمعهود هو

---

[15] إعداد: د. أنور الموسى / كلية الآداب / الجامعة اللبنانية

[16] عباس العقاد صحفي عمل بجريدة الدستور وأصدر جريدة الضياء.

[17] ديوان عمر بن أبي ربيعة / أحمد أكرم الطبّاع / لبنان ـ بيروت / دار القلم / الطبعة الثانية / الصفحة 91.

[18] ديوان عمر بن أبي ربيعة / أحمد أكرم الطبّاع / لبنان ـ بيروت / دار القلم / الطبعة الثانية / الصفحة 90.

[19] عباس العقاد صحفي عمل بجريدة الدستور وأصدر جريدة الضياء.

أن يتغزل الرّجل بالمرأة، لا العكس كما حدث مع عمر الذي أصبح هو المعشوق لا العاشق. وفسّر النّاقد هذا التّحول بأن عمر كفلته أمّه بعد موت أبيه، فقامت على تربيته، وتعلقت به بوصفه وحيداً وجميلاً، وأغدقت عليه من فيض حنانها ودلالها؛ فانعكس ذلك إعجاباً بنفسه في شعره؛ فالنّساء هنّ اللواتي يطلبنه، ويعشقنه، ويرغبن في وصله، بينما يختال هو عليهن، ويتأبى ويتمنّع إعجاباً بنفسه. وهذا الإعجاب الزّائد بالنفس هو ما سماه علماء النفس بـ(النرجسية)...

الباب الرابع: غزل عمر بن أبي ربيعة:

الفصل الأول: طبيعة شعر عمر بن أبي ربيعة:

ابن ابي ربيعه هو الشّاعر الوحيد الذي تخلا عن جميع الأغراض الشّعريّة فلم يمدح ولم يفتخر ولم يرثي فقط اعطى كلّ وقته للحبّ ووصف المرأة وقد امتاز عن غيره بشعره القصصي البديع الذي لم يوصل الى مستواه اي شاعر فهو بحق زعيم الشّعر القصصيّ.

وشعر ابن أبي ربيعة في المرأة لا يتميز عن غيره في ذكر محاسنها الخارجية، ولكنّه يتميز بإدراك نفسيتها، وتصوير أهوائها وعواطفها، معرفة حديثها وطرق تعبيرها، فليست المرأة شبحاً غامضاً يتراءى في شعره، بل روحٌ خافق الفؤاد مختلج بعناصر الحياة.

وقد وصف لنا المرأة العربية وصفاً دقيقاً، ورسم لنا رسماً واضحاً ما كان يستملحه العرب يومئذٍ من معالم للمرأة في كل جزء من أجزائها، وأنّه أبان إلى حدٍ كبير عن عواطفها وما يثير غضبها أو رضاها، وعما يدفعها إلى الجفوة والصّدود والتّأبي والغضب، كما صور من خلال شعره ما يدور بنفسها من خلجات وترهات وأفكارٍ مضطربة مختلطة حيناً ومتناقضةً حيناً آخر، وهو في كل واحدةٍ من أولئك تابع لغيره من الشّعراء الذين تعرضوا لوصف النّساء وإن امتاز عنهم بثلاثة أشياء:[20]

أولهما: أنّه يتتبع الشّيء ويفصله تفصيلاً دقيقاً، ويكرّره فيطيل أحياناً ويجزئ أحياناً.

وثانيهما: أنّه جمع في شعره ما تفرق في شعر غيره فكان فيه العوض عنهم جميعاً، وليس في غيره عوضٌ عنه، وحسبك أن ديوانه المشتمل على خمسٍ وثلاثين وثلاثمائة قطعة ليس فيها قطعة واحدة في غير وصف النّساء والتشبّب بهن.

وثالثهما: أنّه ابتكر في شعره أسلوباً جديداً، طريقةً امتاز بها عن غيره، ألا وهو حديث صاحبته مع جواريها أو صديقاتها، وفي أثناء هذا الحديث يكشف لنا عن مشاعر صاحبته إزاءه، كما يكشف لنا عن أفكار المرأة في مجتمعه:

حيث أنّه قال في أحد أشعاره:

قِفِي فانظُرِي أسماء هِل تَعْرِفِينَهُ أهَذَا المُغِيْرِيُّ الَّذي كَان يُذكرُ

---

[20] الدكتور نوري حمودة القيسي / مجلة المجمع العلمي العراقي / المجلد الثاني والأربعون - الجزء الثالث / 1413هـ - 1992م.
http://www.4shared.com/get/QmGMTQ9L/mer077pdf103.html

أهذا الذي أطريت نعتاً فلم أكن وعيشك أنساه إلى يوم أقبرُ

فقالت نعمْ، لا شكّ غيّر لونهُ سرى الليل يُحْي نَصَّهُ والتَّهَجُّرُ

لَئِنْ كانِ إيّاذُ لَقَد حالَ بَعْدَنا عَن العَهدِ والإنسانُ قد يتغيَّرُ[21]

الفصل الثاني: ميّزات غزل عمر بن أبي ربيعة:

يعتَبَر عمر رائد القصّة الغزليّة الإباحيّة التي يروي فيها مغامراته مع عددٍ من النّساء، وزعيم الغزليّين على الإطلاق لا في العصر الأمويّ وحسب، بل هو زعيمهم منذ كان الأدب إلى الآن، وإذا كان شعراء العصرين العباسيّ والحديث قد استحدثوا في الشّعر شيئاً جديداً، فإنهم لم يستحدثوا الغزل، ولم يتخصصوا فيه كما تخصّص عمر بن ابي ربيعة، ولشعره ميزات لا نجدها في شعر غيره، فإن شعره يصور حياة المترفين والمترفات من فتيان الحجاز وفتياتهم، فيصف أحوالهن في منازلهن، ومداعبة بعضهن لبعض، وما اعتدنا قوله من الكلام والعبارات في أسلوب قصصي رقيق، ولفظ رشيق، ومعنى دمث يلائم روح الغزل، ولهذا أولع به المغنون والمغنيات فانشدوه ولحنوه لسهولته وعظم تأثيره في النفوس، وعُرِفَ بتنقّله من امرأةٍ إلى أخرى، ويشدّه الجمال إلى الجنس الآخر، ويظهر من كثرة من تغزل بهن، أنه لم يكن محباً صادقاً، وأنه اتخذ من غزله مسلاة يملأ بها أوقات فراغه بهذا العبث الرخيص، وقد كان رخي البال، بعيداً عن متاعب الحياة وهمومها، يقضي غالب وقته مع فتية آخرين آثروا أن يقتلوا وقتهم في الغناء والشراب .

ومن أهم سمات غزله (تعدد الحبيبات والإجادة في وصف المرأة ومميزاتها، وصف القامة والمشية وبشرة الجسم وأعضائه، كثرة المغامرات العاطفية، المرأة عاشقة راغبة لا معشوقة مستجيبة، غلبة الشكل القصصي في القصيدة ووجود حوار في القصيدة، الوصف الحسيّ للمرأة ولأجواء القاء معها وبالإضافة إلى تغزّله بنفسه).

ولعمر غزل حقيقيّ كان بعضه صادقاً، وغزل صناعيّ ينظّمه في كل حسناء من حسّان المدينة، فمن غزله الحقيقي قوله في الثريا بنت علي بن عبد الله، وقد هام بها ولم يوفق إلى زواجها وفيما يلي شيئاً مما قاله فيها:

من رَسولي إلى الثُّرَيَّا بأنّي ضِقْتُ ذَرْعَاً بهَجْرِهَا والكِتَابِ

وَهيَ مَكْنُونَةٌ تَحَيَّرَ مِنْها في أديمِ الخَدَّيْنِ ماءُ الشبابِ

دُمْيَةٌ عِنْدَ راهِبٍ ذي اجْتِهادٍ صَوَّرها في جانِبِ المِحْرابِ

ثُمَّ قالُوا تُحِبُّها قُلْتُ بَهْراً عَدَدَ النَّجْمِ والحَصا والتُّرابِ[22]

---

[21] ديوان عمر بن أبي ربيعة / أحمد أكرم الطبّاع / لبنان ـ بيروت / دار القلم / الطبعة الثانية / الصفحة 64.

[22] ديوان عمر بن أبي ربيعة / أحمد أكرم الطبّاع / لبنان ـ بيروت / دار القلم / الطبعة الثانية / الصفحة 30.

الفصل الثالث: أوزان الغزل العمري:

تختلف العروض في ديوان عمر بن أبي ربيعة عن عروض شعراء عالم البداوة ويتميز أيضاً عن عروض شعراء الجاهلية، فان البحور (التقليديّة) ممثلة بوفرة في الديوان وبخاصة بحر الطويل، وبدرجة أقل الكامل والوافر، ويجدر الإشارة إلى أنّ الكامل يبدو في الديوان مجزوء، وعلى كلّ حال، فان البحور الأكثر غنائية، نموذجياً تسيطر في الديوان وفي طليعتها الخفيف والزّجل والرّمل.

حيث أن شوقى ضيف قال أنّه: نستطيع أن نلاحظ هذا التّلاؤم عند عمر في جانبين من ديوانه:

1. الجانب الأول فهو استخدامه للأوزان الخفيفة، حيث أنّ من يقرأ أشعار ابن أبي ربيعة يلاحظ أنّها أوزان تلائم الغناء الجديد من مثل أوزان الخفيف والوافر والرّمل والمتقارب، وكانت هذه الألوان موجودة في العصر الجاهليّ، فعمر لم يوجد وزناً جديداً، وإنما أكثر من استعمال الأوزان السّهلة، التي لا تتطلب مجهوداً من المغنى، والتي في الوقت نفسه تتيح له ما يريد أن يحمّلها من ألحان وإيقاعات، ولذلك عني بهذه الألوان حتى يخفف على المغنين والمغنيات.
2. أما الجانب الثاني، فهو جانب تقصير الأوزان وتجزئتها، وهو أيضاً جانب واضح من أشعاره، وهو جانب كان موجوداً في القديم، ولكن عمر أكثر منه إكثاراً، حتى يكان أن يكون خاصة من خصائص ديوانه، فكثير من غزله بنى من مجزوءات: حتى يهيئ للمغنين والمغنيات الفرصة لتطبيق ألحانهم وأنغامهم الّتي اجتلبوها من فارس أو الروم.

ولكنّ الصورة العامة في أوزان عمر هي أنّها أوزان سهلة خفيفة، وأن كثيراً منها جزّئ، حتى يكون خفيفاً على هؤلاء المغنين من الأجانب.

الفصل الرابع: طريقة وصف عمر بن أبي ربيعة للمرأة:

في تناول عمر بن أبي ربيعة للمرأة وصفها من الناحيتين الجماليّة والنفسيّة، فعمد من الناحيّة الأولى إلى الأوصاف والتشبيهات التقليديّة التي عرفناها عند سائر من تقدمه من الشّعراء، وعمد من النّاحية الثانيّة إلى نفسيّة المرأة فمثّل أخلاقها وميولها وأسلوبها في الحديث وحركاتها في مختلف المواقف ولا سيما في مجالس اللهو، وهكذا كان شعره صورة لحياة المرأة اللاهية في عهده، يتجلى ذلك حتى في لفظه الذي ادخل فيه لغة المرأة وطريقة تخاطبها.

لقد كانت صورة المرأة في شعر عمر صورة جديدة، فهي امرأة منعمة مخدومة بالجواري الأجنبيّات، تقضي أوقاتها في الاستماع إلى الغناء، ومن الخصائص التي عرفت بها:[23]

1. المرأة المتغزل فيها امرأة متحضرة، أصابت ضرباً من الحريّة تحت تأثير الحياة الجديدة في مكة، ومنه الفراغ وأسباب الزينة التي لم تُتَح للمرأة الجاهليّة، وكان مجتمع مكة حينئذ تسوده ضروب من الحريّة المهذبة في لقاء الرّجال بالنّساء، وكانت بعض أحاديث هذا اللقاء تملأ بالصّبابة والغزل، وهل هناك حديث للشّباب أمتع من هذا الحديث الذي تروى فيه قصص القلب الإنساني.

2. مقبلة على الرّجل بأكثر مما كانت تقبل عليه المرأة الجاهليّة، فهي أقلُّ حشمةً وتصنعاً وتكلّفاً، إنَّما هي سيدة حديثة تأخذ قسطاً من الحريّة فتبرز للرّجال، وقد تغازلهم عفيفاً.
3. كان يصف أحاديث النّساء، وما ينطوي عليه من أسرار مخفية، خاصة عند وصفه لامرأة ليجعل الأخريات يغرْن، فيزرع الحقد في قلوبهنّ.
4. في شعره لا يعنى بوصف حبه فقط، بل يصف المرأة نفسها وأحاسيسها، وكأنّه يريد وصف المرأة وصفاً نفسياً، فهو لا يشكو الغرام والعشق، بل محبوبته هي التي تشكو من ذلك وهي التي تتعذب في حبّه وتتمنى لو تراه، ولكنّها في أحيانٍ كثيرة تتمنّع بعفة ودلال عن مواعيد غراميّة مشبوهة، مستخدمة أسلوب المماطلة، وهناك يصور الشّاعر عمر جرأة الفتاة العربيّة وعفتها في وقت واحد، فرغم أنّها أعلنت إعجابها واعترفت بجاذبيتها ورغم أنّه مفتون بها فإنّها تتهرب من موعد منفرد معه.
5. أصبح معشوقاً لا عاشق، فقد كانت المرأة قبل غزل عمر هي المعشوقة، أمّا في غزله، فقد تحوّلت إلى عاشقة، كما تحول عمر – كرجل – من عاشق إلى معشوق، فالنّساء هنّ اللواتي يطلبنه وهو يختال.
6. أنه كان مشغولاً بغزل نفسه؛ لا بسيدات عصره، حتّى أنّه يريد أن يجعل زواجه مأتماً لهنّ، فيصور ما حلَّ بإحداهنَّ حين سرت شائعة تتحدَّث عن زواجه.
7. الهجران والنأي يكون من قبله، وليس من المرأة، (صورة معكوسة)، والمرأة هي من تشكو الوشاة، وليس هو، وهو من يطلب من عاشقته ألا تبوح باسمه.

وعلى هذا النحو نراه في غزله يوقد قلوب الفتيات حباً وهن يتمنين عطفه وحنانه، فهو يصور نفسه في غزله معشوق لا عاشق، كما يصور عواطف المرأة ونفسيتها وما يثير في قلبها المشاعر الرقيقة.

ـ كان عمر بن أبي ربيعة يستخدم لغة سهلة، فيها عذوبة وحلاوة وينصب شباكه لكلّ امرأة جميلة في مكة، وتحول إلى مواسم الحج يعلن حبّه إعلاناً لكلّ امرأة ذات حسن يلقاها، حتى أنّه تجاوز في غزله وشعره إلى شريفات مكة يتغزل بهنَّ ويتشبّب، ولكن دون إفحاش، وهذا الذّوق العام هو الذي أشاع الغزل في المرأة العربيّة الشريفة، وأخذ عمر يستغله ويبعد في استغلاله لا في فتيات مكة ونسائها، بل في فتيات العرب جميعاً ونسائهم ممن يحججن إلى مكة وتقع عينه عليهن، وكأنما كانت عينه "عدسة " مكة في ذلك العصر، فلا تمر امرأة تستحق أن تصوّر

[23] صورة المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة / خليل محمد عودة / لبنان ـ بيروت / دار الكتب العلمية / الطبعة الثالثة / الصفحة 254.

وترسم في تلك المرآة الفنيّة المكيّة إلا وتهبُّ عين عمر وتهبُّ عيون زملائه من الشّعراء فيسجلون صورتها، ومن هنا كنا نقرأ في شعره أخباراً وقصصاً عن جميلات الحواج، ولعل ما يثبت فرضيّة كون عمر بن أبي ربيعة ناطق رسميَّ باسم المرأة العربيّة الحجازيّة هو كونه رسم لها طريق الخلاص حين أنطقها في شعره، حيث أنه صرّح عن كلّ ما تريد البوح به وأعلى من شأنها، وناصرها في صراعها مع الجواري بُغية إثبات وجودها كائناً له حق الحرية والحياة، وعندما جعلها عاشقة لا معشوقة حرّك غيرة الرّجال على نسائهم المُهمَلات.

ـ فغزل عمر كان كصحافة العصر الأمويّ الذي سجَّل أخبار النّساء لتحريك غيرة الذَّكرِ العربيّ على أُنثاه، وإعادة تمكينه من اكتشافها في مداها الأخلاقيّ الواسع.

الفصل الخامس: المغامرات في شعر عمر بن أبي ربيعة:

كانت مغامرات عمر بن أبي ربيعة هي اللافت في شعره، وهي التي استوقفت الأدباء، فهو لم يُعرف إلّا من خلال مغامراته المنسوجة بلغة الشّعر والمرويّة، ومن أمعن النظر، وقرأ مغامراته بشكل جيد يجدها على ضربين:

1. ضرب يذكر فيه سلوكه تجاه حبيباته وخليلاته، فهو الذي حرص على أن يرى تلك الخليلات، وخاطر بنفسه من أجلهنّ، وهذا سلوك طبيعيٌّ لشاب أراد العيش في حياة هنيئة، أراد العيش في نِعْمَةٍ ونَعْمَةٍ، يلتمس من خلال مغامراته هذه حياةً توصف بالسّعادة والحبور، والهناءة والسّرور. فهذه المغامرات غالبا ما يقوم بها في جنح الليل على خوف وترقب، مربكاً خليلاته بزيارته لهنَّ، ومن ثمَّ تعود الطّمأنينة لهنَّ كما يعود النّور للأرض بعد الكسوف والخسوف.

ومن القصائد التي تمثل هذا الضرب من المغامرات قصيدته هذه:

نام الخـليُّ، وبتُّ غيرَ موسـدِ ... أَرْعى النُّجومِ بِهَا كَفِعْلِ الأَرْمَدِ

حتى إذا الجوزاءُ وهناً حلـقتْ ... وَعَلَتْ كَواكِبُها كَجَمْرٍ مُوقَدِ

نامَ الألى ليس الهوى من شأنهم ... وَكَفَاهُمُ الإدْلاَجَ مَنْ لَـمْ يَرْقُدِ

في لَيْلَةٍ طَخْياءَ يُخْشَـى هَوْلُها ... ظَلْمَاءَ مِنْ لَيْلِ التّمامِ الأَسْـوَدِ

فَطَرَقْتُ بَابَ العَامـرِيَّةِ مُوْهِناً ... فِعْلَ الرَّفِيـقِ أَتَاهُمُ لِلْمَـوعِدِ

فَإذا وَلِيدَتُها: فَقُلْتُ لَهَا: افْتَحي ... لمتيمٍ، صـبّ الفؤادِ، مـصيد

تَفَرَّجَ البـابانِ عَنْ ذِي مِـرَّة ... ماضٍ عَلَى العِلاَّتِ لَيْسَ بِقُعْدُدِ

فَتَجَهَّـمَتْ، لَـمّا رَأَتْني دَاخِلاً ... بِـتَلَهُّفٍ مِـنْ قَوْلِها، وَتَـهَدُّدِ

ثمّ ارعوتْ شيئاً وخفض جأشها بعدَ الطموح تهـجدي وتوددي

في ذاك ما قد قلتُ: إني ماكثٌ عشراً، فقالتْ: ما بدا لك فاقعد

حتى إذا ما العشرُ جنّ ظلامها قَالَتْ أَلا حَانَ التَّـفَرُّقُ فَاعْهَدِ

واذكرْ لنا ما شئتَ مما تشتهي واللهِ لا نعصيكَ أخرى المـسند [24]

2. ضرب يذكر فيه ما حدث من بعض المعجبات به تجاهه، فتارة يصف مقلبا فعلنه به، وتارة يذكر إعراضه عنهنَّ، فعمر بن أبي ربيعة بوصفه شاعراً فتيّاً من فتيان قريش، ومرموقاً مشهوراً، يلهج النّاس بذكره، ويتغنى به المغنون، كل هذا جعل منه محلَّ إعجاب من فتيات قريش، ووسيلة ينلن من خلالها شهرة، وذلك من خلال أن يشيد بذكرهن، ويطرهن بمحاسن الذّكر والملح، فلا بد من أن يربطن أسبابهنَّ بسببه؛ حتى يحصلن على ما ترنو إليه أعينهن، ظانَّين بذلك أنّهنَّ سيصبحن سيدات مجتمع، يحترمن من قبل الجميع؛ فتحصل لهن تلك المكانة الخلابة البديعة.

والمتتبع لشعر عمر بن أبي ربيعة يدرك حرص النساء على مسامرته، وتناول الأحاديث في أمور من شأنها تطري الجلوس متعة وأنسة، ففي عينيه يذكر قصة له تحصل الفائدة بالتمثل بها؛ "خرجت هند والرّباب إلى متنزه لهما بالعقيق، فيه نسوة، فجلستا هناك تتحدثان ملياً ثم أقبل إليهما خالد القسري، وهو يومئذ غلام مؤنث يصحب المغنين والمخنثين ويترسل بين عمر بن أبي ربيعة وبين النّساء، فجلس إليهما فذكرتا عمر بن أبي ربيعة وتشوقتا له، فقالتا لخالد الخريت (وكان يعرف بذلك): لك عندنا حكمك إن جئتنا بعمر بن أبي ربيعة من غير أن يعلم أنّنا بعثنا بك إليه، فقال أفعل فكيف تريان أن أقول له، قالتا تؤذنه بنا وتعلمه أنّنا خرجنا في سرّ منه ومره أن يتنكر ويلبس لبسة الأعراب، ليرانا في أحسن صورة ونراه في أسوأ حال فنمزح بذلك معه.
فجاء خالد إلى عمر فقال له: هل لك في هند والرّباب وصويحبات لهما قد خرجن إلى العقيق على حالٍ حذرٍ منك، وكتمانٍ لك أمرهما، قال: والله إنّي إلى لقائهن لمشتاق، قال: فتنكر والبس لبسة الأعراب، وهلمَّ نمض إليهنّ، ففعل ذلك عمر ولبس ثيابا جافية، وتعمم عمة الأعراب، وركب قعوداً له على رحل غير جيد، وصار إليهنّ فوقف منهن قريباً وسلّم فعرفنه، فقلن: هلمّ إلينا يا أعرابي فجاءهن وأناخ قعوده، وجعل يحدثهن وينشدهن، فقلن له: يا أعرابي ما أظرفك وأحسن إنشادك، فما جاء بك إلى هذه النّاحية. قال: جئت أنشد ضالة لي، فقالت له هند: انزل إلينا واحسر عمامتك عن وجهك، فقد عرفنا ضالتك وأنت الآن تعرف أنك قد احتلت علينا، ونحن والله احتلنا عليك وبعثنا إليك بخالد الخريت حتى قال لك ما قال، فجئتنا على أسوأ حالاتك وأقبح ملابسك، فضحك عمر ونزل إليهن، فتحدث معهن حتى أمسوا ثم إنهم تفرقوا"[25]

---

[24] ديوان عمر بن أبي ربيعة / أحمد أكرم الطبّاع / لبنان ـ بيروت / دار القلم / الطبعة الثانية / الصفحة 56.
[25] الأصفهاني/ أبو الفرج/ الأغاني/ ج22/ ص:14.

وقال عمر بن أبي ربيعة:

ألمْ تسألِ الأطلالَ والمترَبَّعا ببطنِ حليَّاتٍ دوارسَ بلقَعا
إلى السَّرحِ من وادي المغمَّسِ بدِّلتْ معالمهُ وبلاً ونكباءَ زعزَعا
فيبخلنَ أو يخبرنَ بالعلمِ بعدَما نكأنَ فؤاداً كان قدماً مفجَّعا
بهندٍ وأترابٍ لهند إذ الهوَى جميعٌ وإذ لم نخشَ أنْ نتصدَّعا
وإذا نحنُ مثلُ المزنِ كانَ مزاجُهُ كما صفقَ السّاقي الرَّحيقَ المشعشعا
وإذ لا نطيعُ العاذلينَ ولا نرَى لواشٍ لدينا يطلبُ الصّرْمَ موضعا
تنوعتنَ حتَّى عاودَ القلبَ سقمُهُ وحتّى تذكرتُ الحديثَ المودَّعا
فقلتُ لمطريهنَّ في الحسنِ إنَّما ضررتَ فهلْ تسطيعُ نفعاً فتنفعا
وشرَّيتَ فاستشرى وقدْ كانَ قد صَحا فؤادٌ بأمثالِ المَها كانَ موزَعا
وهيَّجتَ قلباً كانَ قدْ ودَّعَ الصِّبا وأشياعَهُ فاشفعْ عسَى أنْ تشفَّعا
فقالَ اكتفلْ ثمَّ التثمْ فأتِ باغياً نسلِّمْ ولا تكثرْ بأنْ تتورَّعا
فإنَّي سأخفِي العينَ عنكَ فلا ترَى مخافةَ أن يفشُو الحديثَ فيسمعَا
فأقبلتُ أهوِي مثلَ ما قالَ صاحِبي لموعدِهِ أزجي قعوداً موقعاً
فلمّا تواقفنا وسلّمتْ أشرقتْ وجوهٌ زهاها الحسنُ أنْ تتقنّعا
تبالهنَ بالعرفانِ لمّا عرفنني وقلنَ امرؤٌ باغٍ أكلَّ وأوضعا
وقرّبنَ أسبابَ الهوى لمتيَّمٍ يقيسُ ذراعاً كلّما قسنَ إصبَعا
فلمّا تنازعْنا الأحاديثَ قلنَ لي أخفتَ علينا أنْ تغرَّ وتخدَعا
فبالأمسِ أرسلْنا بذلكَ خالداً إليكَ وبيّنّا لهُ الشّأنَ أجمَعا
فما جئتنا إلاّ على وفقِ موعدٍ على ملاءٍ منّا خرجنا لهُ معا
رأينا خلاءً من عيونٍ ومجلِساً دميثَ الرُّبا سهلَ المحلَّةِ ممرِعا[26]

[26] ديوان عمر بن أبي ربيعة / أحمد أكرم الطبّاع / لبنان ـ بيروت / دار القلم / الطبعة الثانية / الصفحة 119.

الخاتمة و النتائج:

وقد رأينا في هذا المقال أنّ عمر لم يكن عُذريّاً، ولم يكن يريد أن يذهب مذهب العُذريين، وإنّما كان عملياً مُحققاً يلتمس الحُبّ في الارض لا في السّماء، ورأينا كذلك أنّه لم يكن يذهب في حُبّه مذهب أصحاب المجون من شُعراء العصر العباسيّ فلم يكن يسرف في العبث، وإنّما كان يقتصد اقتصاداً ويتوسط في حُبه توسطاً، فيعف كثيراً، ويعبث قليلاً، وكانت ظروف حياته نفسها تكرهه على هذه العفة، لأنّه لم يدع امرأة شريفة من قريش إلا شبب بها، وما كان له أن يتجاوز العفة في هذا التشبيب.

فنلاحظ قبل كل شيء أنّ عمر لم يكن يحبّ بعقله ولا بقلبه، وإنّما كان يحبّ بحسه، وبحسه ليس غير، ولم يعرف العصر الأمويّ كلّه شاعراً وصف المرأة جملة وتفصيلاً بمثل ما وصفها به عمر بن أبي ربيعة جودة وكثرة ودقة بنوعٍ خاصٍ.

لم يكن عمر يقصر الصّلِة بالمرأة على معناها الماديّ وحده، وإنّما كان يريدها واسعة متناولة جميع أطراف الحياة، ولست أشك في أنّ عمر بن أبي ربيعة كان صديقاً للمرأة بالمعنى الحديث الذي نفهمه لصداقة المرأة، فهو كان يريد لها من الحُريّة مثل ما يريده للرّجل، وكان يريد أن تظهر المرأة فخرها بجمالها وروعتها كما يظهر الرّجل فخره بشجاعته وبأسه.

هذا هو عمر إبن أبي ربيعة الذي لم يكن يتصوّر المرأة إلّا أنها مكمّلة للرّجل، هذا هو صديق المرأة، والذي دافع عن مساواتها مع الرّجل بطرقه الخاصة.

المصادر والمراجع:

1. ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم): الشعر والشعراء. تحقيق أحمد محمد شاكر. القاهرة، دار المعارف، ط2, 1967م.
2. الزوزني (عبد الله بن أحمد): شرح المعلقات السبع. تحقيق محمد عبد القادر الفاضلي. بيروت ـ صيدا، المكتبة العصرية، ط1, 2004م.
3. الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني. تحقيق سمير جابر. بيروت، دار الفكر، ط2, 19م.
4. القبط، عبد القادر: في الشعر الإسلامي والأموي. بيروت، دار النهضة العربية، ط1, 1979م.
5. القالي، أبو علي: الأمالي. تحقيق إسماعيل يوسف التونسي. مصر ـ القاهرة، دار الكتب المصرية، ط1, 1917م.
6. ديوان عمر بن أبي ربيعة / أحمد أكرم الطبّاع / لبنان ـ بيروت / دار القلم / الطبعة الثانية / الصفحة 119.
7. الدكتور شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام: مطبعة جامعة دمشق، 1379 ه / 1959 م.
8. طه حسين، من تاريخ الادب العربي، المجلد الاول، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، 1982م.
9. عبد علي مهنأ، شرح ديوان عمر بن ابي ربيعة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى،1406ه |1986 م.
10. ديوان كعب بن مالك / سامي العاني / العراق ـ بغداد / مكتبة النهضة / الطبعة الأولى.
11. ديوان جميل بثينة / بطرس البستاني / لبنان ـ بيروت / دار بيروت للطباعة والنشر / الطبعة الثانية/ عام 1982.
12. صورة المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة / خليل محمد عودة / لبنان ـ بيروت/ دار الكتب العلمية / الطبعة الثالثة.
13. الدكتور نوري حمودة القيسي / مجلة المجمع العلمي العراقي / المجلد الثاني والأربعون ـ الجزء الثالث / 1413هـ ـ 1992م.
    http://www.4shared.com/get/QmGMTQ9L/mer077pdf103.html
14. إعداد: د. أنور الموسى / كلية الآداب / الجامعة اللبنانية
15. عباس العقاد صحفي عمل بجريدة الدستور وأصدر جريدة الضياء.
16. بحث علي محمد زايد غيث بإشراف الدكتور عبد المنعم الرجبي (قدم هذا البحث، استكمالا لمتطلبات مساق في الشعر الإسلامي والأموي، الفصل الصيفي من عام 2008م).
17. ابن قتيبة / الشعر والشعراء. ج1.
18. ديوان حسان بن ثابت الأنصاري / عبد علي مهنا / لبنان ـ بيروت / دار الكتب العلمية/ الطبعة الثانية
19. ديوان الأخطل / أبي الفرج الأصفهاني / لبنان ـ بيروت / لم يذكر دا النشر / الطبعة الثالثة.
20. [1] ديوان ليلى الأخيلية/ عمر رضا كحالة / سوريا ـ دمشق / المطبعة الهاشمية / الطبعة الثانية / 1959.

الفهرس:

المباحث والأبواب	الفصل	الموضوع	الصفحة
مخطط البحث			2
المقدمة والإشكالية			3
الباب الأول: الشعر الأموي وأهم أغراضه	الفصل الأول:	تعريف الشعر وأنواعه	4
	الفصل الثاني:	أغراض الشعر في العصر الأموي	4
	الفصل الثالث:	الغزل في العصر الأموي	8
الباب الثاني: أهم شعراء العصر الأموي			10
الباب الثالث: نسب وسيرة عمر بن أبي ربيعة	الفصل الأول:	نسب عمر بن أبي ربيعة	12
	الفصل الثاني:	سيرة عمر بن أبي ربيعة	13
الباب الرابع: غزل عمر بن أبي ربيعة	الفصل الأول:	طبيعة شعره	14
	الفصل الثاني:	ميزات غزله	15
	الفصل الثالث:	أوزان الغزل العمري	16
	الفصل الرابع:	طريقة وصفه للمرأة	16
	الفصل الخامس:	المغامرات في شعره	18
الخاتمة والنتائج			21
المصادر والمراجع			22
الفهرس			23